

# كسر القوالب Breaking the mold

## #كسر\_القوالب الفاعلون في المجتمع المدني العربي ومحاولة التأثير على السياسات العامة

البلد: الكويت

### إرحل! السياسة التنازعية في الكويت خلال «الربيع العربي»

| دانيال ل. تافانا |

مع مرور الوقت، برز عدد من الفضائح التي طاولت الشيخ ناصر وأعضاء مجلس الوزراء، وأثارت حالة شبه دائمة من الجدل، ما أجبر الأمير على حل مجلس الأمة الكويتي في كل من أيار/ مايو ٢٠٠٦، وأذار/ مارس ٢٠٠٨، وأذار/ مارس ٢٠٠٩. مع انتشار المظاهرات في جميع أنحاء المنطقة خلال أحداث الربيع العربي، تورّطت حكومة الشيخ ناصر في فضيحة فساد: يُزعم أنه دفع رشاً إلى النواب الموالين للحكومة ليمثلوا لها في مجلس الأمة الكويتي. لاحقاً، اشتدت المظاهرات في خريف ٢٠١١، عندما دخلت مجموعة من المتظاهرين ونواب المعارضة إلى مجلس الأمة الكويتي واحتلوه لفترة وجيزة، وبعد أسبوعين استقال الشيخ ناصر.

#### الجدول الزمني

كان وصول الشيخ صباح إلى منصب رئيس الوزراء في العام ٢٠٠٣ بمثابة نقطة تحوّل في السياسة الكويتية. منذ العام ١٩٧٨، شغل الشيخ سعد العبدالله منصب ولي العهد ورئيس الوزراء، وطوال فترة توليه منصب رئيس الوزراء، كان يُنظر إليه على أنه لا يمكن المساس به. في الواقع، إن وجود ولي العهد في منصب رئيس الوزراء يعني أن الذين قد ينتقدون رئيس الوزراء ينتقدون فعلياً أميراً مستقبلياً. على الرغم من وجود بعض المناقشات السابقة حول الفصل بين الموقعين، إلا أن الجمع بينهما حمى الأسرة الحاكمة (خصوصاً رئيس الوزراء) من هجمات البرلمان. شكّل تولّي الشيخ صباح رئاسة الوزراء سابقة عندما تدهورت صحة الشيخ سعد وكان لا يزال ولياً للعهد. في حين، أدى قرار الشيخ جابر بالفصل بين دور ولي العهد ورئيس الوزراء إلى تمكين طيف واسع من نواب المعارضة، بما في ذلك الإسلاميين والليبراليين والشعوبيين، الذين بات بإمكانهم انتقاد أي مرشّح مُحتمل لمنصب الأمير والحكومة التي سوف يقودها كرئيس للوزراء.

في ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١١، استقال الشيخ ناصر المحمد الصباح من رئاسة وزراء الكويت. كان الحدث غير مسبوق، كونه لم يستقل أي رئيس وزراء قبل أن يصبح أميراً. جاءت الاستقالة في أعقاب سلسلة من الأزمات السياسية التي سببتها مزاعم بالفساد والرشوة، وتخلّلتها احتجاجات نمت بالحجم والوتيرة طوال العام ٢٠١١. لاحقاً، اندمجت هذه الاحتجاجات ضمن ما بات يُعرف بـ «إرحل»، وهي حركة مُخصّصة للضغط باتجاه استقالة الشيخ ناصر المحمد.

تضع دراسة الحالة حركة «إرحل» ضمن السياق التاريخي، وتحلّل سماتها الرئيسية، وتقيّم أسباب نجاحها.

#### خلفية

في أواخر كانون الثاني/يناير ٢٠٠٦، خلف الشيخ صباح الأحمد الصباح الشيخ سعد العبدالله الصباح أميراً للكويت. أدى صعود الشيخ صباح إلى حل أزمة الحكم، التي نجمت عن وفاة الشيخ جابر الأحمد الصباح في ١٥ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٦ بعد ٣٠ عاماً من حكمه البلاد. منذ العام ٢٠٠٣، شغل الشيخ صباح منصب رئيس وزراء الكويت، وقضت أولى قراراته كأمر بتعيين رئيس وزراء جديد يكون مسؤولاً عن إدارة الأعمال اليومية للحكومة والإشراف على العلاقات بين مجلس الوزراء ومجلس الأمة الكويتي، لذلك عيّن الشيخ ناصر المحمد الصباح، ابن أخيه، الذي يملك خبرة حكومية كبيرة من خلال مناصبه الدبلوماسية في الخارج والمناصب الوزارية في حكومات السابقة.



### العوامل المؤثرة واللحظات التحولية

في أوائل العام ٢٠١١، تلقّت المظاهرات التي قادها مجتمع البدون (أي عديمي الجنسية) في الكويت الدعم من مختلف أعضاء المعارضة الكويتية. وبما أن الأحداث في أماكن أخرى من المنطقة أدت إلى تصعيد الانتقادات الشعبية لحكومات إقليمية غير منتخبة، فقد تحرك العديد من النواب لاستجواب ثلاثة وزراء كانوا أعضاء في الأسرة الحاكمة، ونظّم اعتصام كبير للمطالبة باستقالة رئيس الوزراء في مطلع آذار/ مارس. استقالت الحكومة بعد أقل من شهر بعد أن قدّم نواب المعارضة طلبات لاستجواب ثلاثة وزراء جميعهم أفراد في الأسرة الحاكمة. لكن على الرغم من استقالة الحكومة احتفظ ناصر المحمد بمنصبه. مع استمرار الاحتجاجات أجبر أعضاء الحكومة على الاستقالة مرة أخرى في يونيو/ حزيران، وهذه المرة، استقال المنافس الرئيسي للشيخ ناصر، وزير الإسكان الشيخ أحمد الفهد الصباح، في حين احتفظ الشيخ ناصر، مرة أخرى، بمنصبه كرئيس للوزراء.

في صيف العام ٢٠١١، مع تصاعد الاحتجاجات والدعوات لاستقالة الشيخ ناصر، تورط رئيس الوزراء مباشرة في مزاعم جديدة بفضيحة فساد، ما شكّل لحظة تحوّل في حركة تعبئة الكويتيين لإجبار الشيخ ناصر على الاستقالة. في آب/ أغسطس، بدأت مصادر إعلامية في الإبلاغ عن قيام أكبر مصرفين في الكويت بالتحقيق في إيداع نحو ٩٢ مليون دولار أميركي في حسابات نائبين (ديوان، ٢٠١١b). بعد شهر، فتح المدعي العام تحقيقاً في العديد من التحويلات المماثلة، إذ حوّل نحو ٣٥٠ مليون دولار أميركي إلى حسابات ١٦ نائباً على الأقل (الشايحي ٢٠١١، Stack ٢٠١١). وزعم لاحقاً تحويل هذه الأموال إلى الحسابات الخارجية لهؤلاء النواب بمساعدة وزارة الخارجية. يبدو أن هذا الادعاء دفع وزير الخارجية الشيخ محمد السالم الصباح إلى الاستقالة احتجاجاً.

أقنعت الفضيحة العديد من المتظاهرين - وكذلك عموم الناس - أن على رئيس الوزراء الاستقالة. بمجرد أن الفضيحة تورطت ثلث مجلس الأمة الكويتي، وسّع المحتجون مطالبهم لتشمل حلّ مجلس الأمة، بعد أن بات واضحاً عدم نجاة كل من رئيس الوزراء والنواب المواليين للحكومة من الأزمة. على الرغم من أن عدداً من الفضائح والاحتجاجات السابقة قد وقّرت أساساً لحركة «إرحل»، إلا أن الحركة نفسها لم تؤمّن دعماً شعبياً واسعاً إلى حين أدت الفضيحة إلى تغيير الدعوات وتضخيمها لعزل الشيخ ناصر.

كانت وفاة الشيخ جابر في العام ٢٠٠٦، وأزمة الحكم التي أعقبت وفاته، سبباً في ظهور الأزمة الكبرى الأولى في مجلس الأمة الكويتي منذ تحرير الكويت في العام ١٩٩١. إذ سرعان ما انتشرت شائعات بأن الشيخ سعد لن يتمكّن من تولي دور الأمير بسبب تقدّمه في السنّ وتدهور حالته الصحية. أدار رئيس البرلمان، جاسم الخرافي، الأزمة بشكل جيّد، ووازن بين مطالبات الأسرة الحاكمة المتنافسة على الحكم والبرلمان الحريص على تأكيد التزامه الدستوري بالموافقة على الأمير الجديد. بدأ وكأنه جرى تفادي الأزمة: أصبح الشيخ سعد أميراً لكنه تنازل عندما تحرك مجلس الأمة الكويتي لاستبداله (Tétreault, ٢٠١٦a, Tétreault, ٢٠١٦b).

عندما أصبح الشيخ صباح أميراً، أبقى منصبه ولي العهد ورئيس الوزراء منفصلين، وعيّن فيهما أخيه غير الشقيق الشيخ نواف الأحمد الصباح وابن أخيه الشيخ ناصر على التوالي. على الرغم من أن التحوّلات التي أتت بالشيخ صباح الأحمد إلى السلطة كانت سلسلة نسبياً، فقد تميّزت السنوات الأولى من حكمه بسلسلة من الأزمات السياسية، التي بدت وكأنها قوّضت بشكل تدريجي الدعم الشعبي للأسرة الحاكمة. كان الشيخ جابر والشيخ سعد من الشخصيات البارزة، إذ حكما البلاد نحو ٣٠ عامًا، في حين أدت وفاة الشيخ جابر وتنازل الشيخ سعد عن الحكم إلى نقل العلاقات المتوتّرة داخل الأسرة الحاكمة، إلى العلاقات المفتوحة بين مجلس الوزراء ومجلس الأمة الكويتي المتوتّرة أساساً.

ظهرت هذه التوتّرات بعد أقل من أربعة أشهر على صعود الشيخ صباح الأحمد، عندما طالب المشرعون في مجلس الأمة الكويتي - بدعم من «نبيها خمسة»، وهي حركة مدنية شعبية يقودها الشباب - بإصلاح النظام الانتخابي الذي وضعه الشيخ جابر في العام ١٩٨١. في أيار/ مايو ٢٠٠٦ حلّ الشيخ صباح مجلس الأمة ودعا إلى انتخابات مبكرة. في الواقع، كشف نجاح حركة «نبيها خمسة» عن انقسامات بين الأسرة الحاكمة وأعضاء حكومة الشيخ ناصر.

بعد «نبيها خمسة»، شكّلت أزمات عدّة الحكومة بين العامين ٢٠٠٦ و٢٠١١ وأثارت معارضة ضدّ رئيس الوزراء. بحلول حزيران/ يونيو ٢٠١١، استجوب النواب في مجلس الأمة الكويتي ١١ وزيراً، وأجبروا ٦ منهم على الاستقالة من مجلس الوزراء، وتسببوا في حلّ المجلس مرتين في أيار/ مايو ٢٠٠٨ وأيار/ مايو ٢٠٠٩ (ديوان، ٢٠١١a). بدأ الأمر كما لو أن الحكومة كانت تتأرجح من أزمة إلى أخرى، فيما كانت مزاعم الفساد وسوء الإدارة الحكومية سمة ثابتة في السياسة الكويتية طوال فترة حكم الشيخ ناصر التي استمرّت خمس سنوات.

### الجهات الفاعلة في المجتمع المدني والاستراتيجيات والتكتيكات

كان لحركة «إرحل» الكثير من القواسم المشتركة مع سابقتها مثل «نبيها خمسة»، التي نجحت لأن مجموعة متنوعة من الناشطين الشباب تمكّنوا من استخدام تقنيات جديدة لتشكيل قضية مشتركة مع نواب المعارضة تعزيراً لهدف واحد واضح، وهو تعديل قانون الانتخابات بما يؤدّي إلى تقليص عدد الدوائر الانتخابية إلى خمس دوائر.

وحّدت «إرحل» حركات شبابية عدّة متباينة لتعزيز هدف آخر: استقالة رئيس الوزراء. وشملت هذه الحركات كل من: كافي، السور الخامس، حراك، حدم، معك، ونهج، وغيرهم. خلال العام ٢٠١١، نظّمت هذه الحركات عددًا من الاعتصامات في جميع أنحاء البلاد، والعديد من الندوات الإصلاحية، ونشرت لوائح بمطالب مختلفة راوحت بين استقالة رئيس الوزراء، والالتزام بإجراء انتخابات جديدة، وإنشاء ملكية دستورية يمارس بموجبها مجلس الأمة الكويتي سلطة أكبر على سياسة الحكومة. على الرغم من أن العديد من هذه الحركات عكست حركات الشباب الشعبية التي ظهرت في جميع أنحاء المنطقة، إلا أنها استمدّت بشكل كبير من شبكات الناشطين القائمة فعلياً، وظهرت بعد «نبيها خمسة».

في ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، ناورت الحكومة في جلسة خاصة لإلغاء طلب استجواب الشيخ ناصر عن أجندة مجلس الأمة الكويتي. ردًا على ذلك، دخل العديد من نواب المعارضة والمتظاهرين إلى مجلس الأمة واحتلوه لفترة وجيزة في ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر. ألقى المتظاهرون النشيد الوطني الكويتي داخل المجلس، ومن ثم غادروا. وصف الأمير الحادثة بـ «الأربعاء الأسود»، وبأنها هجوم على الكويت، وطالب بمحاسبة جميع المتورطين. بعد فترة، تحرّك مجلس الأمة الكويتي مرّة أخرى لاستجواب الشيخ ناصر ما أجبره على الاستقالة.

### نتائج حركة «إرحل»

بعد فترة وجيزة من استقالة الشيخ ناصر، أعلنت «إرحل» النصر. كان يُنظر إلى الحركة على أنها ناجحة، إذ أجبرت رئيس وزراء لا يحظى بشعبية ويعتبره الكثير من الكويتيين فاسدًا على الاستقالة. حشدت الحركة طيقًا واسعًا من المواطنين الكويتيين، ونجحت في الدعوة إلى تعيين رئيس وزراء جديد، وجمعت حركات معارضة متباينة معًا لتعزيز الهدف المشترك. بذلك، وللمرة الأولى، يمكن الادّعاء أن الأسرة الحاكمة خضعت للضغوط الهادفة إلى إحكام سيطرة شعبية على سياسة الحكومة، وهو حدث نادر في أي نظام استبدادي انتخابي. في الانتخابات التي أجريت في شباط/ فبراير ٢٠١٢، فاز نواب المعارضة بغالبية المقاعد، وكان العديد منهم منخرطين ضمن «إرحل».

على الرغم من أن تركيز «إرحل» على استقالة الشيخ ناصر وحدّ الحركة، إلا أنها لم تتحدّ بشكل جيّد قدرة الأسرة الحاكمة على تعيين مسؤولين حكوميين ووضع أجندة سياسية للحكومة. أيضًا، على الرغم من أن الأمير عين رئيسًا جديدًا للوزراء، إلا أنه لم يتغيّر نهج الحكومة الأساسي تجاه مجلس الأمة الكويتي. كذلك على الرغم من التدقيق في الكسب غير المشروع وسوء استخدام الأموال والأشكال الأخرى من «الأموال السياسية»، إلا أن الحكومة طوّرت أساليب جديدة لتأمين الامتثال في مجلس الأمة وقلّلت من فعالية المعارضة البرلمانية من خلال التحوّل إلى نظام انتخابي قائم على «صوت واحد غير قابل للتحويل»، وذلك بعد انتخابات شباط/ فبراير ٢٠١٢ التشريعية التي أُلحقت أيضًا بحلّ مجلس الأمة الكويتي بعد ٤ أشهر على انتخابه.

في كثير من الحالات، استغل النّوّاب وغيرهم من قادة الحركات المرتبطتين بـ «إرحل» الانقسامات التقليدية - وخصوصًا القبلية والطائفية - لتعبئة المواطنين. كانت انتخابات شباط/ فبراير ٢٠١٢ متوتّرة بشكل خاص، إذ تصاعدت حدّة الخطاب المناهض للفئات الاجتماعية المختلفة. لم يساعد قادة الحركات المنتخبون قضيتهم نتيجة مناصرتهم مجموعة من القضايا الضيّقة معًا في مجلس الأمة الكويتي. في أيار/ مايو ٢٠١٢، على سبيل المثال، أقرّ مجلس الأمة الكويتي تعديلًا على قانون العقوبات دعا فيه إلى فرض عقوبات صارمة - بما فيها الإعدام - على المسيء للذات الإلهية والرسول وأزواجه العلني. بعد شهر، رفض الأمير القانون وحلّت المحكمة الدستورية مجلس الأمة الكويتي. تضاعف التأييد للمعارضة، بعد أن اعتبر العديد من الكويتيين هذه الجهود بمثابة خطوة بعيدة جدًّا، ولا علاقة لها بالمشكلات الأساسية التي انتُخب النّوّاب لحلّها، ولا تزال المعارضة البرلمانية ضعيفة حتى اليوم.

### الختام

انطلقت «إرحل» كحركة شعبية ردًّا على الفساد الحكومي المتفسي. أدّت قدرة الحركة على توحيد مجموعات المعارضة المتباينة والعمل مع نواب المعارضة والتركيز بشكل فردي على استقالة رئيس الوزراء إلى نجاحها. في النهاية، استقال الشيخ ناصر في مواجهة ضغوط شعبية جماهيرية قادها المواطنون الذين حشدتهم مجموعة من المتظاهرين والنّوّاب. للمرة الأولى، يمكن للكويتيين الادّعاء بأنهم أجبروا الأسرة الحاكمة على عزل رئيس الوزراء الذي فقد ثقة شعبه. مع ذلك، أدّت العواقب غير المقصودة إلى فشل الحركة في الضغط من أجل إصلاح مؤسسي أعمق، وكذلك أدّى سلوك المعارضة في مجلس الأمة الكويتي إلى حلّ المجلس وتعديل قانون الانتخابات بمرسوم أميري. على الرغم من نجاح الحركة إلا أن أخطاء المعارضة شجّعت على استنزاف الدعم الشعبي للإصلاح بشكل سريع والعودة إلى الوضع الراهن.



أطلق برنامج «الفاعلون في المجتمع المدني وصنع السياسات في العالم العربي» في معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية بدعم من Open Society Foundations في منتصف عام ٢٠١٨. الحلقة الثانية من مشروعه البحثي المطول «كسر القوالب: الفاعلون في المجتمع المدني العربي ومحاولة التأثير على السياسات العامة»، والتي هدفت إلى رصد وتحليل المحاولات التي قام بها المجتمع المدني العربي بكافة توجهاته، وهيكلياته واختلافاته من أجل التأثير على السياسة العامة في مجالات عديدة. أحاط هذا البحث بحركة المجتمع المدني في عشر دول عربية هي لبنان، سوريا، فلسطين، الأردن، مصر، المغرب، تونس، العراق، اليمن ودول الخليج العربي وأنتج ٩٢ حالة دراسية تناولت دور المجتمع المدني في مختلف المواضيع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجنسية والتعليمية والصحية والبيئية.

شارك في عملية الرصد التي استمرت ما يقارب سنة ونصف ٢٥ باحثًا وباحثة ومجموعة بحثية من البلاد المذكورة كما أشرفت لجنة استشارية متخصصة على صياغة المنهجية ومراجعة الحالات لتتم كتابتها بما يتوافق مع هدف المشروع. تم عرض الحالات من قبل الباحثين خلال جلسات تحت عناوين مختلفة خلال المؤتمر الذي امتد على يومين.

### برنامج الفاعلون في المجتمع المدني وصنع السياسات

يُمثل الدور المُتزايد لجهات المجتمع المدني الفاعلة ظاهرة حديثة ذات أهمية كبيرة، تعود إلى التقدم في مجالات التواصل، بالإضافة إلى التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. يُعاین هذا البرنامج طيفًا واسعًا من جهات المجتمع المدني الفاعلة ودورها في صنع القرارات. إذ يقوم بدراسة كيفية تنظيم المجتمع المدني لنفسه ضمن تحالفات تناصر قضية محددة وشبكات تؤثر في الإجراءات السياسية ونتائج هذه المحاولات. كما أنه يعاین مؤسسات الأبحاث السياسية ومساهماتها في ترجمة المعارف إلى اقتراحات وتوصيات سياسية. كذلك يتم البحث في الدور المتصاعد للعالم والذي يعتبره البعض لاعبًا أساسيًا في تحفيز المظاهرات والثورات في العالم العربي.

### معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت

يسعى معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت، إلى تيسير الحوار وإثراء التفاعل بين الجامعيين المتخصصين والباحثين واطاعي السياسات وصانعي القرار في العالم العربي بصفة خاصة. ويعمل على إشراك أهل المعرفة والخبرة في المنظمات الدولية والهيئات غير الحكومية وسائر الفاعلين في الحياة العامة. كما يهتم، من خلال الدراسات والأنشطة، بتعزيز النقاش المفتوح حول جملة من القضايا العامة والعلاقات الدولية وبصياغة الاقتراحات والتوصيات المناسبة لرسم السياسات أو إصلاحها.

Al Shayji, A. (2011, December 12). Kuwait in Midst of its Own Arab Spring. Gulf News. Retrieved from <https://gulfnews.com/opinion/op-eds/kuwait-in-midst-of-its-own-arab-spring-1.948955>

Alblosi, H., & Herb, M. (2018). "Karamet Watan: An Unsuccessful Nonviolent Movement." Middle East Journal, 72(3), 408-430

Diwan, K. (2011a, June 29). Kuwait's Impatient Youth Movement. Foreign Policy. Retrieved from <https://foreignpolicy.com/2011/06/29/kuwait-s-impatient-youth-movement>

Diwan, K. (2011b, November 17). Kuwait's Constitutional Showdown. Foreign Policy. Retrieved from <https://foreignpolicy.com/2011/11/17/kuwait-s-constitutional-showdown>

Stack, L. (2011, September 21). Corruption Inquiry Rocks Kuwait. New York Times. Retrieved from <https://www.nytimes.com/2011/09/22/world/middleeast/corruption-inquiry-rocks-kuwait.html>

Tétreault, M.A. (2006a, February 10). Three Emirs and a Tale of Two Transitions. Middle East Reports Online. Retrieved from <https://merip.org/2006/02/three-emirs-and-a-tale-of-two-transitions>

Tétreault, M.A. (2006b, September 7). Kuwait's Annus Mirabilis. Middle East Reports Online. Retrieved from <https://merip.org/2006/09/kuwait-s-annus-mirabilis>



معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية

الجامعة الأميركية في بيروت

صندوق البريد 11-0236

رياض الصلح / بيروت 2020 1107، لبنان، مبنى عصام فارس، الجامعة الأميركية في بيروت

+961-1-350000 الخط الداخلي 4150 \ الفاكس: +961-1-737627

ifi.comms@aub.edu.lb

www.aub.edu.lb

aub.ifi

@ifi\_aub

@ifi\_aub